

الرقم	الموضوع قوانين الاسرة	مركز المرأة العربية للتدريب والبحوث
البلد العراق	موقع الواب :	
العدد و [ص]:	التاريخ 2012-12-24	

قراءة في سطور الخيانة الزوجية

حينما يكون القانون تحت سطوة الأعراف

نشوان محمد حسين

الخيانة الزوجية.. هذه الظاهرة الاجتماعية الموجودة في أغلب المجتمعات إن لم نقل جميعها والتي لا تسير خطاها بمعزل عن خطى ظواهر أخرى (اجتماعية واقتصادية).. في مجتمعنا العراقي أخذت هذه الظاهرة بالتوسع لتلقي بنتائج خطيرة على المجتمع لعل أولها فورة عمليات الطلاق بشكل يندر بتفكك الأسرة العراقية، فضلا عن حدوث بعض الجرائم بسببها وخلق العديد من المشكلات الاجتماعية الأخرى.. في مجتمعاتنا الشرقية - ومنها العراقي - يندرج مفهوم الخيانة ضمن المسائل المسكوت عنها اجتماعيا وفي نفس الوقت يتم التطويل لها سرا!! وذلك لخطورة تداعياتها.. ولكن بين هذين النوعين من السكوت والتطويل أنتشرت هذه الظاهرة أكثر خصوصا بعد ترسيخ واقع بيئي اقتصادي- اجتماعي رث ومن ثم الانفتاح الاستهلاكي الفجائي على تقنيات متنوعة كانت تحتاج إلى وقت يتسم بالجدلية الايجابية مع منظومة القيم والأعراف...!

تعريف

الخيانة الزوجية وبتعريف بسيط: هي كل فعل يخرق موثيق العلاقة المقدسة بين الزوجين، من قبل طرفي العلاقة، يؤدي إلى إلحاق أذى مادي أو معنوي بالطرف الآخر.. وعادة ما تكون الخيانة نقطة شاخصة - بسوادها - في مصداقية العلاقة الزوجية، نقطة تكون مفترقا لطرق عدة وتلقي ظلالها بسلبية على طبيعة العلاقة الزوجية، لا بل يمتد تأثيرها بفعل العوامل الاجتماعية إلى أطراف أخرى.. فضلا عن الصدمة والمعاناة التي تتركها لحظة اكتشافها أو الشكوك التي تسبقها، وقد تبدأ الخيانة بشكل معنوي-عاطفي قبل أن تتحول إلى مادي- جسدي، ونحن نتكلم عن الخيانة، لا يفوتنا نسبتها التي تمنحها شكلا وجوا يلقي باختلافاته تبعاً لتغير المكان والزمان اللذان ينتجان المعايير القانونية والاجتماعية التي تحدد هوية ودرجة الخيانة.. كما أن هنالك نسبة من نوع آخر والتي تأتي مما تتركه

هذه الخيانة من تأثيرات على طرفيها، هذه التأثيرات التي تعتمد أيضا على التفاصيل الذاتية الدقيقة لشكل العلاقة بين الزوجين والتي صاغها التاريخ المشترك بينهما وخصوصا المتعلقة بالجانب النفسي! فعلى سبيل المثال.. قد تتباين ردة فعل الطرف المتضرر جراء الخيانة من قتل الخائن إلى الصمت واستيعاب المسألة وفقا لرؤية تفرضها اعتبارات ذاتية وأسرية كثيرة..

الأنواع والأسباب

أضع مفردتي "الأنواع والأسباب" سوية وذلك لاشتراكهما الوثيق في نقاط عدة , إذ غالبا ما يتحدد النوع فيها تبعا للأسباب والعكس صحيح.. فهناك الخيانة العرضية التي تحدث تحت ظل أسباب مفاجئة لم يتوفر فيها عامل القصدية، حيث يكون أحدهما في زمان ومكان تفرض حدثا طارئا لا يستطيع الزوج أو الزوجة مقاومتها في تلك اللحظات..! وهناك الخيانة البيضاء -إذا صحت التسمية- والتي تأتي لغرض إنقاذ الطرف الآخر وغالبا ما تكون من قبل الزوجة، ولكنها تبقى خيانة في نظر المجتمع والزوج.. الخيانة الأخرى تلك التي تكون على شكل ردة فعل عاطفية - انتقامية نتيجة لقيام الطرف الأول بالفعل ذاته.. أما الخيانة الأكثر انتشارا وشرا فهي تلك التي تمارس بشكل معتاد من قبل أحد الزوجين مستغلا غفلة الطرف الآخر والتي غالبا ما تكون أسبابها نتيجة عدم وجود الانسجام الجنسي أو العاطفي الذي يقود بدوره إلى الخيانة العاطفية ومن ثم الجنسية أو قد تحدث بسبب سوء القيم والعادات التي اكتسبها الطرف الخائن خلال تنشئته الاجتماعية، كما إن أحد أهم أسبابها هو عامل التقليد والمحاكاة للآخرين سواء أولئك الذين يفعلونها في محيط واقعهم أو في القصص والأفلام والذي يبدأ برغبة نفسية دفينية.. حيث تسيطر على الزوج أو الزوجة فكرة إن ما يفعله أقرانهم من أقارب أو معارف ويتمتعون به يبدو مغريا في نظرهم ويخلق في داخلهم فكرة "هم ليسوا أحسن منا"!! وهناك أسباب ترتبط بشكل كبير في الجانب النفسي عندما يمر طرف العلاقة الخائن بمرحلة كبت جنسي طويلة نسبيا تسبق لحظة الزواج مما يؤدي إلى أن تتشكل عقدة يمكن لها أن تمارس تأثيرها عليه خصوصا عندما تتوفر الفرص وعندما تكون مساحة الحرية في بيت الزوجية أوسع منها في بيت الأهل الذي تتذكره الزوجة على إنه كان سجنا، وهناك حالة نفسية أخرى ممكن أن تؤدي إلى السير في درب الخيانة وهي حالة "الاحباط" التي غالبا ما تسببها انتكاسات معينة تجلبها ظروف الحياة التي قد لا يكون للشريك الزوجي ذنبا فيها، لكنها تدفع به في محاولة خاطئة للتخلص منها إلى ارتكاب فعل الخيانة وأفعال أخرى خارقة للقيم والاعتبارات الاجتماعية.. يبقى أن نقول أن عامل الإكراه وفرض الشريك الذي يقع على أحد الزوجين - خصوصا المرأة - مع وجود فارق عمري كبير قد يكون مسببا آخر في الخيانة وأن ثقافة المجتمع

الذكورية بامتياز قد تدفع الزوج إلى ممارسة الخيانة على اعتبارها مدعاة فخر وتباه مع ذاته وبين أقرانه!! بقي أن أقول أن هنالك فرقا كبيرا بين الذي يمارس الخيانة نتيجة تداعيات لكبت طويل أو لحرمان يفرضه وضع خاص وبين من يمارسها كحالة ترف بذيء يعبر فيها عن استهتاره بالقيم والمعايير.

العرف والقانون

العرف الاجتماعي وبشكل عام ينظر إلى الخيانة بنظرتين مختلفتين، حيث يضيق بؤبؤ النظر عن خيانة الرجل الذي يمكن له أن يحظى بأربع نساء ويتسع ليكون عدسة مكبرة من أجل تنفيذ أشد العقوبات بحق المرأة التي لا يمكن لها وفي أحسن الأحوال أن تحظى برجل واحد! لا بل يحدث أن تُعاقب المرأة لأنها دافعت عن حقها وكرامتها إذ ما اكتشفت خيانة زوجها، وقد تصل عقوبتها إلى الطلاق!! ويبقى العرف يمارس سطوته رغم أن الدين قال وبوضوح ساوي في العقاب بين الزوج والزوجة الخائنين! وتزداد سطوة العرف عندما يكون دور القانون ضعيفا في التشريع أو التنفيذ، إذ أن أغلب الأحكام الصادرة بحق الخائئات لا تتساوى بتاتا مع تلك الصادرة بحق الخائنين، حيث يقع القانون هنا تحت سيطرة العرف الاجتماعي ولا ادري لماذا لا يقع تحت تأثير الشريعة الدينية!!؟ ناهيك عن سير العملية التحقيقية والتي تعرف كيف تبرئ الزوج عندما يقتل زوجته الخائنة، وبالمقابل تستطيع أيضا أن تهيء لانزال أقصى عقوبة بالزوجة التي تقتل زوجها الخائن بأساليب عديدة لعل أبسطها جلب ورقة موقعة من رجل دين تثبت وجود نوع من أنواع العلاقة الشرعية بين الزوج المجني عليه وبين المرأة التي كان يمارس فعل الخيانة معها!!!

الوقاية والعلاج

تبدو فكرة الوقاية واضحة بعد أن مررنا على أسباب الخيانة الزوجية، ولعل أهمها هو التأني والتدقيق حينما يتم اختيار الشريك في العلاقة الزوجية وإعطاء مساحة أكبر من الحرية لغرض التعرف على الآخر..

ضرورة أن تكون هنالك وسائل أعلام تلعب أكثر من دور في هذه القضية أولا أن تعمل على نشر القيم والمفاهيم التي تعمل على تماسك المجتمع والأسرة والثانية أن تكون مسؤولة في خطها المهني وأن تحمل رسالة إنسانية فضلا عن دورها المحوري في تشكيل جبهة ثقافية تتبناها المؤسسات الرسمية وغير الرسمية لإعادة بناء ما تهدم من القيم الأخلاقية ولكن ليس بطريقة العودة إلى الماضي وإنما من

خلال إعادة إنتاجها بشكل يتلاءم وروحية العصر خصوصا في ما يتعلق بمكانة المرأة.. كذلك تقع على الجهات الرسمية الحكومية مسؤولية النهوض الاقتصادي والتعليمي بالأسرة العراقية خصوصا إذا ما عرفنا إن أعلى معدلات الخيانة الزوجية التي تحدث في المناطق ذات التحضر الرث، كما أن على الجهات القانونية في هذه المؤسسات أن تنظر بموضوعية أكثر في التعامل مع الطرف الخائن بغض النظر عن جنسه...

هذه الحلول المذكورة تبرز أهميتها من كونها ذات صفة وقائية..

أما الحلول المعالجة فعلى الطرف الخائن أن يحاول أن يتذكر جيدا النتائج الهدامة التي تعقب اكتشاف الخيانة الزوجية، فمهما طال أمد سريتها ستأتي لحظة اكتشافها ما دامت مستمرة، عليه أن يفكر في مصير أطفاله وسمعة الآخرين من أفراد أسرته التي قد تتحطم بسبب نزواته ورغباته غير المسؤولة التي من الممكن جدا أن تجعله يدفع ثمنا باهظا لها.. على الطرف الخائن الذي يدعي أنه لا ينسجم عاطفيا أو جنسيا مع شريكه أن يختار بين انفصال بالمعروف على خيانة مستمرة عواقبها مدمرة.. وفي المقابل على الطرف الذي أكتشف خيانة شريكه أن يعامل بنوع من الهدوء والحكمة وأن يسامح بالحد الذي يبرره فعل الخيانة وبالقدر الذي يبدو عليه الندم والأسف في قلب الخائن ولأجل اعتبارات اجتماعية وأسرية قد يكون أطفالهم في مقدمتها.